﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء: 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نـفـيُ الـخـلـود يـعـنـي إثـبـاتَ الموت

لمّا قال الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ نتج منه الحكمُ الكلّي الذي يشمل جميعَ النّاس، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ الآيةَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذَآئِقَةُ﴾: الذّوق هو اخْتِبارُ الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ومنه ذوق المأكول، والمَذاق: طَعْمُ الشَّيْءِ، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجازًا فيُقالُ: ذُقْتُ ما عِنْدَ فُلانٍ بمعنى اخْتَبَرْتُهُ، وكُلُّ ما نَزَلَ بِإنْسانٍ مِنْ مَكْروهٍ فقَدْ ذاقَهُ، والذَّوْقُ: يَكونُ فيما يُكره ويُحمد، وكثر في القرآن استعمالُ لفظ الذّوق في ما يقع للإنسانِ من عذابٍ أو مكروه، لأنّ ذلك – وإن كان في التّعارف للقليل – فهو مستصلحٌ للكثير، فخصّه بالذّكر ليعمّ القليل، والكثيرَ، وذقت الأمرَ خبرتُه، وأمر مُستَذاقٌ أي: مُجَرَّبٌ مَعْلومٌ.

2) ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾: يدور المعنى المحوري للكلمة على شدَّةٍ تحوز الشّيء – أو حَوْزِ الشّيء بشدّة – لمدًى طويل، وأصلُ الكلمة من البليَّةِ، وهي النّاقة تُعْقَل عند قَبْر صاحبها، فلا تُعْلَفُ حتى تموت، ويقال: بَلِيَ الثّوب بِلًى وبَلاءً، أي: خَلِقَ، لطول الاستعمال مع الامتهان، وبَلَوْتُهُ: امتحنته، واختبرته كأنّي أخلقته من كثرة اختباري له ليتبيَّن حالُه، وسمّي الغمُّ بلاءً من حيث إنَّه يبلي الجسم، ويَكونُ البَلاءُ في الخَيْرِ والشَّرِّ؛ لأنَّ الامتحان والاختبار قد يكون بالخير فيشكرُ، كما يكون بالشرِّ فيصبر، غير أنَّ الأكثر في الشَّرِّ أن يقال: بلوته أبلوه

بلاءً، وفي الخير: أبليته أبليه إبلاء وبلاء[1]، و﴿وَنَبْلُوكُم﴾ في الآية بمعنى نختبركم[2].

3) ﴿فِتْنَةً﴾: يدور معنى الكلمة على الابتلاء والاختبار، وأصلُ الكلمة من إدخال الفضَّة أو الذّهب النّارَ لتظهر جودته من رداءته، ويقال: فتنت الفضّة والذّهَبَ: أذَبْتها بالنّار للتّصفية، أو للصّوغ، ويسمَّى الصّائغُ الفَتّان، وفتَنْت الرّغيف في النّار: أحرقته، والفَتْنُ: الإحْراقُ، وشَيْءٌ فتينٌ: أيْ مُحْرَقٌ، واستعمل اللفظُ في تمحيص حقيقة ما في القلوب بتعريضها للشَّدائد كما يُصْهَر الذّهب، أو الفضّة فيمتاز خَبَثُهما عن جوهرهما الخالص، و﴿فِتْنَةً﴾ هنا بمعنى الاختبار والامتحان[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الدّنيا دارُ ابتلاءٍ، واختبارٍ، لا دارُ بقاء

أكَّدَ الله تعالى أنَّ أحدًا لايبقى في هذه الدّنيا فقال: كلُّ نفسٍ ذائقةٌ مرارةَ مفارقةِ جسدها في الدّنيا، فلا يبقى أحدٌ من ذواتِ الأنفسِ المخلوقةِ كائنًا ما كانَ، ونختبركم بالمضارّ الدّنيوية من الفقر، والآلام وسائر الشّدائد، وبنِعم الدّنيا من الصّحّة واللّذة، والسّرور، والتّمكين من حصول ما تريدون امتحانًا منّا لكم وإلَيْنا تُرْجَعونَ يومَ البعثِ فنجازيكم بأعمالِكم، حسب ما يوجد منكم من الصّبر والشّكر[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصل في الآية:

مجيءُ الجملة بطريق الفصل، لأنَّها تأكيدٌ لما قبلَها كما أنَّها ممهّدةٌ لِما بعدها

جاءتِ الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ بطريق الفصل؛ لأنَّها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بلي).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 439، والبغوي، معالم التنزيل: 3/ 288، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 81.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 71.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 439، والمراغي، تفسير المراغي: 17/ 30.

بمنزلة التّوكيد لما قبلها، فإنَّه لمّا قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أفاد بمفهومه أنَّ كلَّ نفسٍ تموت، كما أنَّ هذا الجملة بمثابة الاستدلال والبرهان على الإنكار على خلودِهم[1] وهي مكمِّلةٌ لما قبلها تقريرًا، وتأكيدًا، واستدلالًا ممهّدةٌ لما بعدها، بالتّذكير بأنَّ ما يقدّمونه في حياتِهم، هو اختبارٌ لهم، وأنَّهم سيرجعون إلى الله تعالى بعدَ موتهم للجزاء.

بلاغةُ التّذييل في قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾:

جملة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ تذييلٌ لما قبلها مع أنَّها صدرُ آيةٍ، والسّببُ هو أنَّ معنى الآيةِ مُستوفى بمفهومِه في الآية التي سبقت عندما أخبر تعالى أنَّه لم يَجعَلْ لبَشرٍ قبْلَ نَبيِّه الخُلْدَ، فتكونُ الجملة من التَّذييل الذي يخرج مخرجَ المثل السّائر؛ لاستقلال الجملة بنفسها بحيث يتمثَّلُ بها في الكلام، ولما فيها من معنى العموم والكلّيَّةِ، ويدخل في الخبرِ المشركون المنكَرُ عليهم تمنّي موتَ رسول الله ﷺ دخولًا أوّليًّا، والإشعار بأنَّهم بعملهم هذا إنّما يفعلون الشّرَّ، كما يدخل فيه المؤمنون لتنبيههم إلى المبادرة إلى فعل الخير واجتناب الشّرِّ، ومثلُ هذه الجملة التي تفيد تأكيدَ ما قبلها وعمومَ معناها تُستعمل في المواطن الجامعةِ والمواقف الحافلة؛ لأنَّ تلك المواطن تجمعُ بطيءَ الفهمِ وسريعَه، وتنطبق على الجميع[2].

من براعة أسلوبِ القرآن مجيءُ جملةِ التَّذييل في صدر الآية

دلالةُ التَّعبير بلفظِ العمومِ:

في قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أفاد التّعبيرُ بلفظ العموم ﴿كُلُّ﴾ استغراقَ كلِّ فردٍ يطلقُ عليه نفسٌ، على معنى الإحاطة لكلِّ الأفرادِ المخلوقة، ولمّا كان لفظ ﴿كُلُّ﴾ مبتدأً وأخبر عنه بقوله

استغراقُ جميع الأنفسِ المخلوقة في الحكم عليها بذوقِ الموتِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 51، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 43.

(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 3/ 208، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 51، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4861.

﴿ذَآئِقَةُ﴾ أفادَ أنَّ المراد معنى ما أضيفت إليه، فجاء الإخبارُ عن كلِّ فردٍ من أفرادِ النّفس المخلوقة بأنَّها ذائقة الموت.

سببُ إيثار الإضافةِ إلى النّفس:

لفظُ النّفسِ مشعرٌ بالرّوح التي تكون في جسدٍ

قال الله تعالى ﴿كُلُّ نَفۡسٍ﴾، ولم يقل: كلُّ إنسان، أو كلُّ بشرٍ؛ لأنَّ لفظَ النَّفسِ مشعرٌ بالرّوح، وأنَّ لهذه الروح جسدًا، ولهذا قال تعالى: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام: 93]، أي: أرواحكم، والموت أمرٌ يحلُّ بالنّفسِ فتخرج به الرّوح من الجسد، كما أنَّه أفادَ أنَّ النّفس هي التي تذوق مرارةَ فراق الجسدِ، والموت ينصبُّ عليها ابتداءً.

الغرضُ من إسناد الذّوق إلى النّفس:

لا يقال الإنسانُ يذوق الموتَ بل يقال نفسُ الإنسانِ أوِ النّفسُ تذوق الموتَ

في قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ أسْنِدَ ذوقُ الموت إلى النّفس، وفيه إشعارٌ بأنَّ ذوق الموت يكون للنّفس، فيصحُّ أنْ يقال الإنسان يموت أو البشر يموت، ولا يصحُّ أن يقال: الإنسان يذوق الموت؛ لأنَّ ذوق الموت متعلِّقٌ بالنّفسِ التي يكون فيها الرّوح، لارتباط الذّوق بالإدراك الذي يكون بالرّوح، فكان التّعبيرُ القرآنيّ في إسنادِ ذوق الموت إلى النّفسِ أنسبَ وأبلغَ.

سرُّ الإضافة في قوله: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾:

ذوقُ مرارة الموتِ واقعٌ لا محالةَ وإن تأخّر

الإضافة في قولِه ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ للملابسة، لتفيد أنَّ النّفسَ تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت، ففي الإضافة تهويلٌ لشأنِ الموتِ[1]، ولمّا كان المعنى على المستقبل أي سيذوق الموتَ كانت الإضافة على تقدير الانفصال[2]، والتّقدير: (ذائقةٌ الموتَ)، وجيء باسم الفاعل مضافًا؛ لِلإشعار بشدَّة ملازمة النّفس للموتِ وعدم انفكاكِها عنه، وللإيذانِ بأنَّ ذوق مرارة الموتِ واقعٌ لا محالةَ، وبأنَّ

(1) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 4/ 354.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 15/ 70، والكرماني، لباب التفاسير، ص: 1492، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 143.

النّظر إلى النّفس الذّائقةِ التي اختُبرت وستُجازى بعد الموت، وليس النّظرُ إلى حدث ذوقِ الموتِ، لأنَّه بالإضافة يرادُ الاسمُ، فإنَّ الإضافةَ من خصائص الأسماء، وأمّا النّصب فيدلُّ على إرادةِ الحدثِ.

بلاغةُ الاستعارة:

المـوتَ كـالشّيءِ المحسوسِ الذي يـذاقُ بـالـفـمِ، ولابدَّ من تجرُّعِ مرارته

جاء الكلام في قولِه: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ على الاستعارة، حيثُ شُبِّه الموتُ بمأكولٍ يذاقُ بجامع الإدراك، ثمَّ حُذِفَ المشبَّه به وأُبقي شيءٌ من لوازمه وهو الذّوق، فالاستعارة مكنيَّة[1]، وفائدةُ التَّعبير عن المعنى بطريق الاستعارة بيانُ شدَّة التصاق مرارةِ مفارقة النّفس لجسدِها، وإنّما حسُنَ وصفُ النّفسِ بذلكَ لِما يُحسُّ به من كربِ الموتِ وعذابِه، فكأنّ الموتَ شيءٌ محسوسٌ يذاقُ بالفم، ولابدَّ من تجرُّعِ مرارته، وذوقُ الموت بمعنى ذوق مرارةِ مفارقة النّفسِ للجسدِ، والمراد ذوقُ مرارة مقدّماتِ الموتِ من الآلام العظيمة؛ لأنَّ الموتَ قبلَ دخولِه في الوجود يمتنع إدراكه، وحالَ وجودِه يصير الشّخصُ ميِّتًا، والميّتُ لا يُدرِكُ شيئًا[2].

بلاغةُ مجيءِ الكلامِ على خلافِ مقتضى الظّاهر:

تـذكـيرُ الـنّـاس بـأنّـهـم في هذه الدّنيا في حالةِ اختبارٍ بالبلايا والنّعم

في قوله ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ يحتمل الخطابُ أن يكون للنّاس كافَّةً، فيكون على خلاف مقتضى الظّاهر؛ لأنَّ الخطاب، وإن كان لمعيَّنٍ، فإنَّه قد جاء لغير معيَّنٍ على معنى إرادةِ عمومِ النّاس فيكون الخطابُ بطريق التّلوين، فإنَّه نصَّ على العموم في قولِه ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ ثمَّ أرادَ العمومَ بطريق الخطاب، وفائدتُه تذكير كلِّ مخاطَبٍ بأنَّه في وضعِ الاختبار بالبلايا والنّعم، وأنّ هذا الاختبار هو اختبارٌ عظيم، لأنَّه من عند الملك العظيم، كما يحتمل أن يكون الخطابُ للكفرة

(1) الكرماني، لباب التفاسير، ص: 1492، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 81، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 14.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 143، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 51.

بطريق الالتفات من العموم إلى خصوص الكافرين، لتنبيههم إلى شناعة أعمالِهم وقُبحها[1].

بلاغةُ الاستعارة:

لمّا لم يجز الاختبارُ في شأنِ علّام الغيوب، كان ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ مستعارًا لمعنى نعاملكم معاملة المختبِر بأن نمكِّنَكُم من الشَّرِّ لتفعلوه أو تتجنَّبوه، ومن الخير لتفعلوه، لأنَّه تعالى يُجازي على ما تعملونه لا على ما يعلمُه منكم، فالاستعارة تمثيليّةٌ، وسُمّيَ ذلكَ ابتلاءً، لأنَّه في صورةِ الاختبار[2].

سُمّي الامتحانُ في الدّنيا ابتلاءً لأنَّـه في صـورة الاختبار

معنى الباء ودلالتُها في قوله ﴿بِٱلشَّرِّ﴾:

الباء في قوله ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ للإلصاق، أي: بأن يلتصق بكم أو يختلط بكم الشّر والخير[3] فهم المقصودون بالابتلاء، وهو الملصق بهم لا بسواهم.

معنى اللام ودلالتُها:

اللام الدّاخلة على الاسمين في قولِه: ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ للجنس بمعنى قصد الحقيقة، أي: نبلوكم بما يطلق عليه شرٌّ، وما يطلق عليه خيرٌ، ولا يقتضي الاستغراقَ لكلِّ أنواعِ الشرِّ، وكلِّ أنواعِ الخير.

يتفاوتُ النّاس في أنواع الابتلاء بالخير والشّرّ

الغرضُ من التّعبير بأسلوبِ الطباق:

الشَّرُّ والخيرُ في قوله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ عامٌّ في الفقرِ والغنى والمرضِ والصّحةِ والمعصية والطاعة والشدّة والرّخاء، وبالجملة كُلُّ ما يصحُّ أن يكون فتنةً وابتلاءً[4] وجاء التّعبير بأسلوب الطباق لبيان مناط الأمر في الحياة وأن مداره على الابتلاء

كما يكون الشّرُّ ابـتـلاءً يـكـون الخيرُ كذلك

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 116، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 143، و497، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 51.

(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 418.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 81، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 428.

بالمتضادّين، دفعًا لتوهّم أنّ الشرّ وحده ابتلاءٌ، وأنّ الخير إكرام لا ابتلاء كما يظن الكفّار كما يبيّنه قولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [الفجر: 15].

الغرضُ من تقديم الجارّ والمجرور:

تقديمُ الوسيلةِ على الغرض بيانٌ لاتّحاده

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور مع معطوفِه ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ على ﴿فِتْنَةً﴾؛ للإيذانِ بأنَّ كلَّ أعمال الاختبار راجعةٌ إلى هذين الأمرين تنبيهًا لهم، وللاهتمامِ بهما بتجنّب الشّرِّ وملازمة الخير، كما أنَّ في التّقديم تقريرًا للمعنى لتقوّي الخبرِ، ولا يفيدُ التَّقديم القصرَ[1].

سرُّ تقديم ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ على ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾:

الابتلاءُ بالشّرّ أكثرُ من الابتلاء بالخيرِ

قُدِّمَ الشَّرُّ على الخيرِ، في قوله ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؛ لأنَّه لمّا ذكر النّفس في قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أفادَ أنَّ النّفوس أسرعُ شيءٍ إلى الشّرِّ، وأنَّه من طبع النّفوس، فكان تقديمُه مناسبًا لتقدُّم ذكرِ النّفسِ، ولأنَّ الابْتِلاءَ بِالشّرِّ أَكْثَرُ، ولأنَّ أكثرَ النّاس يستجيبون لداعي الشّرِّ لإغواء إبليس إليه، ولِأنَّ العَرَبَ تُقَدِّمُ الأَقَلَّ والأَرْذَأ، ومِنْهُ قوله تعالى ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: 49] وقوله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: 32]، كما أفادَ التّقديمُ أنَّ الاختبار بالشَّرِّ أشدُّ في ذاته من الاختبار بالخير، فإنَّه، وإنْ يبدُ أخذُه حلوًا، ولكنَّه مرٌّ[2].

الغرضُ من إسناد البلاء إلى الضّمير العائدِ على الله تعالى:

تمكينُ الخير والشّرّ منَ المبتلى بيدِ الله وحده

في قوله ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ أسندَ الفعل (نَبْلُو) إلى ضمير الجمع الواو المفيدِ للتّعظيم العائد إلى اللّه تعالى؛ للإشعار بأنَّه تعالى هو الذي يمكنهم ويسهلُ لهم النّجدين نجدَ الخير ونجدَ الشر، فقد قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: 10]، ولمّا كان ضميرُ الجمع مفيدًا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 65.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 81، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 428، والبقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 418.

تعظيمَ الفاعل دلَّ على تعظيم الفعل، بمعنى تعظيمِ الابتلاء بالفتنة بالشّرِّ والخير.

تنوّعُ إعرابِ ﴿فِتۡنَةً﴾ وثراءُ المعنى:

تنوّعُ المعنى على وفقِ تنوّعِ التّوجيه النّحويّ

في نصبِ ﴿فِتۡنَةً﴾ ثلاثةُ أوجه، وهكذا في كلِّ مصدرٍ نكرةٍ منصوبٍ، أحدُها: أنَّه مفعول مطلقٌ للفعل ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ ليكون مصدرًا من غيرِ لفظِه، وفائدةُ مجيء المصدر من غير لفظِه بيانُ أنَّ الابتلاء هو فتنة وامتحان، ليظهر الصّالحُ من غيرِه، وهذا الوجه اختاره كثيرٌ من المفسّرين، والثّاني: أنّه مصدرٌ في موضع الحال، أي: فاتنين، والمعنى نبلوكم بالشّرِ والخير مظهرين ذلك، والثّالث: أنّه مفعول لأجلِه، والمعنى نبلوكم بالشّرّ والخير لأجل إظهار جودتكم ورداءتكم[1]، وعلى الأوجه الثلاثة فإنَّ المرادَ أنَّ الابتلاء بالشّر والخيرِ أمرٌ عظيمٌ لا يثبت له إلّا المُوفَّقُ، كما أنَّه لمّا كانت الفتنة متعلَّقةً بالفعل ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾ أفادت أنَّ هذه الفتنة من الله، ومتى كانت الفتنة من الله فإنّها تكون على وجه الحكمة، ويفيدُ تنكيرُ ﴿فِتۡنَةً﴾ تفخيمَ الفتنة وتعظيمَها، أي: الاختبار بالشّرِّ والخير في هذه الدنيا.

بلاغةُ الاستعارة:

أهـلُ الخـير مقـرّبـون عند الـلـه، وأهـلُ الشّر مذمومون مُبعدون

أصلُ الفتن إدخالُ الذّهب النّار؛ لتظهر جودته من رداءته، فيكونُ في التّعبير بلفظ ﴿فِتۡنَةً﴾ في قوله ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾ استعارة بتشبيه تصفيةِ من يعمل الخير ممّن يعمل الشّرَّ بفتنةِ الذّهب، وتصفيتِه من غيرِه، ثمَّ حَذف المشبَّه، وأبقى المشبَّه به على سبيل الاستعارة التّصريحية الأصليَّة، والمعنى: (نبلوكم كما يفتن الذهب المرغوب المحبوب إذا أريدت تصفيته بمخالطة النّار

(1) أبو البقاء العكبري، التبيان: 2/ 918، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 428، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: 13/ 497.

له)، وفائدةُ الاستعارة بيانُ عظمِ الفتنة ومعاناتِها، وأنَّ من يعملون الخير مرغوبٌ فيهم، مقرّبون، ومن يعملون الشّرَّ مذمومون[1].

دلالةُ الواو في ﴿وَإِلَيْنَا﴾:

تـقـريـرُ المـعـاني المـهـمّـة بـيـانٌ لقدرِها

الواو في قوله ﴿وَإِلَيْنَا﴾ استئنافيَّةٌ، لتفيد تقريرَ الجملة التي تتلوها والاهتمامَ بها، فكأنَّه لها معنى مستقلٌّ، لأنَّ الآية على قصرِها قد ذكرت الموتَ والحياةَ والبعثَ.

بلاغةُ القصرِ بتقديم الجارِّ والمجرور على الفعل:

إلـى الله تعالى رجـوعُ الخلقِ لا إلى غـيرِه سبحانه

لمّا جاء الجارُّ والمجرور مقدّمًا على الفعل في قولِه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أفاد التّقديمُ الاختصاصَ، والمعنى: (ترجعون إلينا وحدنا لا إلى غيرِنا)[2]، ويكون الملك يومئذٍ للّه فيكونُ الحساب، ثم الجزاءُ للطائعين والعقاب للعاصين.

فائدةُ التّعبير بضمير العظمة (نا):

الـقـادرُ على الإرجاع هو الله وحـده، كـما قدرَ على الخلق وحده

أفاد التّعبيرُ بضمير العظمة في قولِه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أنَّه لا يقدرُ على إرجاعكم يومَ القيامة كما كنتم في الدنيا سوى اللّه تعالى الملك الواحدِ الأحدِ.

دلالةُ التّعبير بالمضارع مبنيًّا للمفعول:

الفاعلُ متعيّنٌ معروفٌ لا حاجةَ لذكره

في قوله ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أفاد التّعبيرُ بصيغة المبني للمفعول الإشعارَ بعِظَم الإعادة يوم البعثِ، فكأنَّهم في غيبوبةٍ عمّن يُرجعِهم إلى الحساب ليجازيَهم على أعمالِهم.

الغرضُ من حذف متعلَّقِ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

الإيـجـازُ والاخـتـصـارُ مـلائـمٌ لـهـول الموقف

لمّا جاءت جملةُ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد إثبات الموتِ على كلِّ نفسٍ، وبعد بيان وقوعِ الاختبار في هذه الدنيا، أفادَ أنَّ المعنى: (وإلينا

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 418، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 54.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66.

ترجعون بعدَ الموتِ للجزاء)[1]، وفائدةُ حذف المتعلَّق الدّالّ على الزّمان الإيجازُ في الكلام للعلم به، ومراعاةُ الفاصلة ورؤوس الآي.

نكتةُ التّعبير بلفظ ﴿تُرْجَعُونَ﴾:

في الـرّجـوع معنَى الإقبال إلى من يُرجَعُ إليه

لفظ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ مأخوذٌ من الرّجوع، وهو العودُ إلى ما كان منه البدء، ويستعملُ اللّفظ بمعنى رجوع الخلق يومَ البعثِ إلى تمام خلقتِهم التي كانوا عليها، ولمّا قال ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ أفادَ أنَّ البدءَ من الله تعالى ليفيدَ بلازِمه أنَّ الله تعالى هو الذي خلقهم، وفي الرّجوعِ معنى الإقبال إلى من يُرجَعُ إليه[2]، والمعنى: (وإلينا ترجعون يومَ القيامةِ لنجازيكم على أعمالِكم)، وإن كان الخطابُ في قولِه: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ على معنى عموم النّاس أفادَ الخبر بلازمِه الوعدَ للمؤمنين والوعيدَ للكافرين، وإن كان الخطابُ للكافرين أفادَ الوعيد المحضَ لهم[3].

بلاغةُ التّعريض في قوله ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

المـقـصـودُ من الدّنيا الابتلاءُ لـلـمُـجـازاة في الآخرة

في قوله ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ تعريضٌ بالمخاطبين عمومًا ويدخل فيه الكافرون دخولًا أوّليًّا بمعونةِ السّياق إلى أنَّ المقصود من هذه الحياة الدّنيا هو الابتلاءُ والتّعريضُ للثواب والعقاب على سبيلِ المجازاةِ على الأعمال التي وقع الاختبار عليها[4].

التوجيه البلاغي للقراءات في ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾:

الـقـراءة مع الـقـراءة كالآية مع الآية

تضمّن قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قراءتين مشهورتين، فقرأ الجمهور ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء لما لم يسمّ فاعله، وقرأ يعقوبُ - وحده - بالبناء للفاعل ﴿تَرْجِعُونَ﴾ في كلّ ما كان فيه الرجوع إلى الآخرة، فحجّة قراءة الجمهور ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أنّه من (أُرْجِعَ)

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 418.
(2) الراغب، المفردات: (رجع).
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 54.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 51، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66.

إذا فُعِلَ به الرجوع، فالله سبحانه هو وحده القادر على إرجاعهم، ونظير هذا المعنى قوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: 36]، وقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 62][1]، وأمّا قراءة يعقوب بالبناء للفاعل ﴿تَرْجِعُونَ﴾ فجعل فعل الرّجوع منهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: 156]، فهو فاعل في اللّفظ دون المعنى، نحو: (مات زيدٌ).

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الابتلاء والامتحان والاختبار:

الابتلاء كثرةُ الاختبار وطولُ مدّةٍ فيه، فهو من بَلِيَ الثّوب بِلًى وبَلاءً، أي: خَلِقَ، وبَلَوْتُهُ بمعنى اختبرته كأنّي أخلقته من كثرة اختباري له، ففيه معنى طولِ المدّة والتّكليف، ويقال ابتلاه بالخير والشّرِّ، فيُقصد بالابتلاء إظهارُ الجيّد من الرّديءِ، وأمّا الامتحان فهو بمعنى بيانِ حقيقة الشّيء بإزالةِ ما يشوبه بطولِ نظرٍ وتدبّرٍ فيه، ويُقصد بالامتحان إظهارُ الخالصِ من الشّيء والمصفّى منه[2]، وأمّا الفرقُ بين الابتلاء والاختبار فيُقال إن الابْتِلاء يَقْتَضي اسْتِخْراجَ ما عِنْد المُبْتَلى من الطّاعَة، والمَعْصيَة، والاختبارَ وُقوعُ الخَبَر بِحالَة في ذَلِك، والخَبَر العلمُ الَّذي يَقع بكنه الشَّيْء وحَقيقَته[3].

الابتلاء كثرةُ الاختبار وطولُ مدّةٍ فيه، والامتحان بيانُ حقيقة الشّيء بإزالةِ ما يشوبُه بطولِ نظرٍ

الابتلاء والفتنة:

الفرق بينهما هو أنَّ الفِتْنَة أشدُّ الاختبار وأبلغُه، والقصدُ من الفتنة إظهارُ الحالةِ وتبيينُها، وأصله عرضُ الذَّهَب على النّار ليتبين صَلاحُه من فساده، وأمّا الابتلاء فهو اختبارٌ مُشعر بطولِ مدّته، ويكون بالخير وبالشّرِ كما تكون الفتنة كذلك.

الفتنة أشدُّ الاختبار وأبلغُه

(1) ابن الجزري، النشر: 208/ 2، والفارسي، الحجّة: 5/ 422.
(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بلي، محن).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 215.

الرجوع والعَود:

الفرق بين الرّجوع والعود هو أنَّ الرجوع فعلُ الشّئ ثانيةً، ومصيرُه إلى حالٍ كان عليها، والرّجوع إلى الشّيء يفيد معنى الإقبال إليه، من غير إدبارٍ، فيقال: رَجَعَ إلَيْه أي أقبل، والرّجوع هو العودُ إلَى ما كانَ عليه مَكانا أو صفةً أو حالًا، يُقال: رَجَعَ إلَى مَكانَهُ وإلَى حالَة الفقر أو الغنى، ورجع إلَى الصِّحَّة أو المَرَض أو غَيره من الصِّفات، وأمّا العودُ فيستعمل في الرّجوع القويّ الذي يكون بعدَ مدَّةٍ من الزّمن، ومنه العَوْد وهو الجَمَل المسنّ الَّذي فيه بَقيَّةُ قوَّة، وعوّد الرّجل تعويداً إذا أسنّ، ويستعمل العودُ في الابتداء مجازا، فيقال قد عاد إليَّ من فلان مكروه، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبل ذلك، وتأويله أنَّه لحقني منه مكروه، وأمّا تردّون فهو من الرّدِّ وهو رجوع على معنى انعكاس الجانب وقد يكون فيها معنى القبح، ولهذا يُقال للْمَرْأة إذا اعتراها شَيْء من جمالٍ وفي وجهِها شَيْء من قَباحة: هيَ جميلَة، ولَكِن في وجهِها بعضُ الرَّدَّة، ويقال في فلان رَدَّة، أي: يَرتدّ البَصَر عَنهُ من قُبحِه، ومنه الرِّدَّة، وهي الرّجوع عنِ الإسلام إلى الكفرِ للإيذانِ بقبحِ الرّدة[1].

الـرّجـوعُ فعلُ الـشّئ ثـانيـةً، وفـيـه معنى الإقبال، والعودُ هـو الـرّجـوع الـقـويّ الـذي يكون بعدَ مدَّةٍ من الزّمن

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (رجع، ردد، عود).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»